مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 4 (رت 73) السنة: 2023

دلالة الانزياح في خطاب الكراهية على مواقع التواصل الاجتماعي

Indication of Displacement in Hate Speech on Social Media

خليفي حاج أحمد[1]
جامعة غليزان
hadjahmed.khelifi@univ-relizane.dz

تاريخ الوصول 2022/06/21 القبول 2023/05/03 النشر على الخط 2023/06/05
Received 21/06/2022 Accepted 03/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:
في هذه الدراسة أحاول تشخيص خطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي وسيرورته الصاعدة من مكان إلى آخر من خلال الخطاب المبني نتيجة عمليات تفاعل للقيم الممكنة المتواجدة داخل اللسان وفي معنى الكلمة، كما يحوي على قصدية دلالية كالتي تكون سببا في انتاج هذا النوع من الخطاب. والواقع في خطاب الكراهية أنه لا يخرج عن نطاق المعطيات اللغوية والصور البيانية لما يحمله من تأويلات تفرضه على اللغة المتداولة داخل مواقع التواصل الاجتماعي، كما أتطرق على سيرورة هذا الخطاب من خلال اللغة والانزياح واستمراريتهما لخصوبة الحضور التفاعلي لهذه المواقع والتي نجدها منفتحة على مجالات متعددة يسير فيها الخطاب داخل سياقات متعددة ومتنوعة لا يمكن حصرها إلا بواسطة اللغة و الصورة الانزياحية.

الكلمات المفتاحية: الانزياح، الخطاب، الكراهية، التواصل، الاجتماعي.

Abstract:
n this study, I try to diagnose hate speech within social media sites and its rising vigour from place to place through discourse built as a result of interactions of possible values within the tongue and in the meaning of the word. In fact, hate speech does not fall outside the scope of linguistic data and graphic images of the interpretations it carries on the language circulating within social media sites. And I touch upon the seriousness of this discourse through language and discourse and its persistence in the fertility of the interactive presence of these sites, which we find open to multiple areas in which the discourse takes place in multiple and varied contexts that can be confined only by language and image.
Keywords :The Displacement, the Speech, the Hate, the Communication, the Social**.**

[1]– المؤلّف المراسل: خليفي حاج أحمد البريد الإلكتروني: **hadjahmed.khelifi@univ-relizane.dz**

1. مقدمة:

كل خطاب داخل مواقع التواصل الاجتماعي يستعمل مساحة وحدود من المعجم اللساني وأنساق من الصور البيانية والإنزياحية. لكن هذا الاستعمال بتغير بشكل ضيق أو واسع – حسب القيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية الممكنة ووفق معطيات النسق اللساني التي يفكر بواسطتها رواد المواقع أو الناشرون (معطيات المعجم، معطيات التركيب، معطيات الصورة، معطيات المنطق، معطيات نفسية ...). والتي يفرضها الحوار، كما يضطر في تحقيقه إلى قبول الإلزامات التي تفرضها اللغة الطبيعية المتداولة داخل هذه المواقع – التي يستعملونها وفق كل مصدر للخطاب. ومن ناحية ثانية، لا يفهم أي خطاب داخل مواقع التواصل الاجتماعي خارج سياقه.

وخطاب الكراهية هو تعبير منطوق أو كتابي يأتي في مستوى من مستويات اللغة يمثل مجموعة الأنساق الحاضرة والعاكسة للقيم الأخلاقية داخل مجتمع معين باستمرار وممكنة ولا زمانية، فهو استعمال آني «للحدث» (Evenement) – ضد شخص أو مجموعة أو مؤسسة أو غيرها، ويحث على التمييز والعداوة ويحرض عليها.

وأهم ما يميزه داخل مواقع التواصل الاجتماعي:

– **الكلية**: فهو عبارة عن متوالية لغوية متكررة مرتبطة بهدف معين.

– **التقييد**: وهو يخضع لتقييد ينطبق على تركيبه الداخلي يجعل منه إما نثرا أو سردا أو بحثا أو مقالا الخ، وقد يقيّد هذا النوع من الخطاب ضمن جنس لساني أو أدبي معين

- الأسلوب: يأخذ خطاب الكراهية بوصفه إنتاجا تنظيما فريدا يعكس أسلوب (Style) وشخصية كاتبه داخل مواقع التواصل الاجتماعي.

ومن جهة أخرى، كل خطاب الكراهية هو نتيجة عمليات تحققت انطلاقا من قيّم ممكنة داخل وخارج اللسان. إنه المكان الذي تترابط فيه العوامل الدلالية Les Facteurs semantique للقيّم التي تنتج عن تنظيم الدلالة على المستوى العام للسان تصورا نسقيا، والتي ترتبط بآليات وقدرات فردية لبناء المعنى على المستوى الخاص في منشوره على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي. وبعبارة أوجز، خطاب الكراهية هو أكثر الخطابات تلاقيا وتفاعلا مؤسسا بالفرد والمجتمع.

ومن جهة ثانية، خطاب الكراهية يحتوي على قصدية داخلية للدلالة فهو يحاول دائما تحقيق دلالة تركيبية متجانسة نسبيا تتحقق في العناصر الجزئية التي تكونه (مفاهيم، أصوات، كليات، حروف...). وتشترك جميع خطاب الكراهية في هذه القصدية.

و في كثير من الأحيان يمكن تحديد لسان وصورة معينة لهذا الخطاب، بحيث التساؤل: «عمن يتكلم؟، فإنه على مستوى الخطاب – بوصفه حدثا – يكون أمرا ضروريا الحديث عن ذات متكلمة بواسطة تحديد مجموعة مركبة من المؤشرات كالضمائر مثلا. كل خطاب يحيل على ذات متكلمة. وإذا كان الإنسان على مستوى السلوك لا يفرض ذاته بوصفه «أنا» إلا بالتعامل مع «الأنت» و«الهو»، فإن هذا السلوك يمتلك بنية لسانية محايثة هذا خطاب. فمن يستعمل هذا الخطاب يحيل دائما على من يتكلم باستعمال ضمير الغائب : هو، ويتجدد ظهور هذا الغائب كلما استعملت "أنا" داخل الخطاب، لأن هذا الاستعمال يحقق كل مرة اندراج الغائب داخل لحظة زمنية جديدة وداخل نسيج نصي مخالف ومؤيد في مواقع التواصل الاجتماعي. فالوظائف الداخلية للخطاب لا

تحددان بحدود الموضوعات الخارجية فقط، بل بحدود الكلام كذلك الذي نحن بصدد تحليله. فمشاهد خطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي كما قلنا سابقا له قصدية داخلية للدلالة شأنه في ذلك شأن الخطابات الأخرى. لكن في استعماله هو مرتبط بمعطيات اللسان واللغة الطبيعية، وفي بنائه لقصديته الداخلية في الدلالة، يكمن تميزه عن تلك اللغة الطبيعية أولا، وعن باقي الخطابات الأخرى (علمية، سياسية، فنية، أخلاقية...). وسنحاول دراسة عمليات التجريد في خطاب الكراهية من خلال إبراز هذا التميز دلالة الانزياح بداخله.

1- اللغة العادية وخطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي:

خطاب الكراهية له مفاهيم جديدة انطلاقا من كلمات اللغة والألفاظ المستعملة ويأخذ أحيانا أخرى شكل عميق في بعض وظائف اللغة وتجذيرها (كما سنرى في الوظيفة البنائية للغة في هذا الخطاب)

فالتفكير في الكراهية هو أسلوب متميز في إنتاج الخطاب لا يُعرف إلا عند تحققه. فهذا التفكير ينتج غالبا بعد الحدث، ليس هناك تخطيط قبلي، لهذا فإن التفكير لكي يطبق ويحصل على النتائج هو تفكير راهن دائما يتحقق على مستوى المضامين القابلة لقراءة الأحداث التي يتم الترويج لها داخل مواقع التواصل الاجتماعي، وعلى مستوى مضامين النص المنشور داخل هذه المواقع. وداخل هذا الإطار يمكن الحديث عن علاقة خطاب الكراهية باللغة الطبيعية التي يستعملها المؤثر أو رواد المواقع في صياغتهم وتصوراتهم وأفكارهم.

فينبغي على المؤثر داخل مواقع التواصل أن يقبل الإلزامات التي يفرضها على كل ذات (متكلمة) استعمال اللغات الطبيعية داخل فعل التواصل. وان تحويله لهذه الإلزامات أو تحرره منها أو تحليله لها من وجهة نظر لغة الكراهة، لا يعفيه أبدا من الاعتماد عليها إذا ما أراد البرهنة أو الاقناع أو التفسير. لكن ليست اللغة الطبيعية مجرد حامل لخطاب الكراهية، بل هي المجال الذي يفكر فيه المؤثر داخل مواقع التواصل الاجتماعي ويحاول شق طريق له في مجال الحوار، هذا خصوصا إذا كانت تلك اللغة تسعى لبناء العلاقة بينه وبين العالم الخارجي لا مجرد تعبير خارجي عن هذه العلاقة.

وبالفعل، داخل اللغة الطبيعية يبني رواد مواقع التواصل الاجتماعي علاقتهم بالآخرين. وكل ذات مشاركة لذلك المنشور لا تكتفي فقط بإصدار خطاب حول الموضوع، بل تنتظم في ذلك الخطاب أي داخل مجال الدلالة القصدية له.

ففي اللغة العادية أفكر في نشر موضوع ما يخص خطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي فأقوم بتنظيمه وإضفاء صفة الدلالة عليه، فعندما أقوم بتصدير هذا الخطاب فإنه يعود وفق ما تتبناه الذات الغائبة داخل اللغة الطبيعية حيث تعيد بناء شموليته محاولة اكتشاف ما يمنحها معناه لها، فيكون خطابا متماسكاً وشائعاً.. وهذا يفترض أن خطاب الكراهية لن يكون بإمكانه الوجود ما لم يكن لديه تأثير حول واقع ما. كالخطب الكراهية الموجهة ضد جنس، والدين، واللغة، والعرق وغيرها التي تكون في اللغة العادية اللغة الأكثر تداولاً. "وعليه، يمكن القول إن اللغة ذات طبيعة شاملة لكل الظواهر الأخرى. فاللغة ذاتها – مأخوذة عبر

تحليها الأكثر تشخيصا – ليست ظاهرة كباقي الظواهر الأخرى، بل هي الظاهرة التي تحتوي الظواهر الأخرى لكي تمنحها نمط آخر للوجود داخل عالم التواصل"[1].

يمكننا القول – إذن– إن خطاب الكراهية مصير من مصائر استعمال اللغة، تماما مثلما كان كل الانواع الادبية أحد مصائر اللغة لكن، ما هو التحويل الذي تحدثه الكراهية على اللغة الطبيعية ؟ وما علاقة خطاب الكراهية بخطابات أخرى داخل المواقع التواصل الاجتماعي، وأخيرا ما علاقة خطاب الكراهية مع تلك المواقع وكيف تكون بنيتها؟.

2. لغة خطاب الكراهية وواقع مواقع التواصل الاجتماعي:

الكراهية خطاب. و بما هي كذلك، لن تستطيع التخلص من كل إحالة على الواقع أو مواقع التواصل الاجتماعي، فالكراهية ثابت وجودها واستمرارها تسود أحيانا علاقة الإنسان العادي بالعالم الافتراضي حتى داخل لغته الطبيعية، وتحاول تأسيس لفكر ينضبط فيه الوعي بالذات إلى مستوى الرضوخ والشمولية. فالكراهية هي قبل كل شيء وعي متجدد بكل ما تمليه من انفلات من الواقع. وهي خطاب يمس قطاعات من قطاعات الواقع ترتبط بالحاجيات والمنافع، كما ترتبط بالوجود الطبيعي وبالتجارب السيكولوجية والسوسيولوجية والاقتصادية للإنسان، فخطاب الكراهية هو يقترب من هذه الخطابات و له علاقة مباشرة بالحاجة والضرورة والطبيعة والمنفعة، ولا يتحدث مباشرة عن الاقتصادي والاجتماعي حديث السوسيولوجي وعالم الاقتصاد... إلخ. فهي كل ما يمليه الناشر داخل مواقع التواصل الاجتماعي وما يقوله هؤلاء حول الظواهر الإنسانية المتعلقة بالاجتماع والاقتصاد وغيرها، وليست الكراهية خطاب مباشر حول هذه الظواهر، بل هي خطاب يبنى انطلاقا مما تقول خطابات أخرى ومما تصفه من سلبيات داخلها.

و لم يكن خطاب الكراهية خطاباً مباشرًا داخل مواقع التواصل الاجتماعي بل كان دائما غير مباشر. فلم يحضر هذا المباشر داخل خطاب الكراهية إلا بوساطة خطابات أخرى. ولم تكن الكراهية إلا استعادة – قد تكون أحيانا جذرية، وقد تكون أقل من ذلك – للغة تكلمت بشكل كبير وشاسع حول العالم (تكلمت بأشكال مختلفة: أسطورية، علمية، سياسية، أخلاقية، فنية...) في اتجاه إعادة بنائها والتفكير من خلالها داخل مواقع التواصل الاجتماعي التي تمنحه لغته الشمولية المجردة التي حاول خطاب الكراهية دائما أن يحافظ عليها لكي يتميز عن كل خطاب آخر داخل مواقع التواصل بما في ذلك اللغة الطبيعية المتداولة.

فلا يتعامل خطاب الكراهية مع المنشورات على مواقع التواصل إلا بوصفها شاملة. ولا يتعامل معها من منطلق بناء موضوعات كما هو الشأن في الخطابات الأخرى، بل من منطلق التفكير في لغتها ودلالتها ومعناها وكيفية ايصالها لرواد مواقع التواصل الاجتماعي.

من هنا كان خطاب الكراهية يفتح على كل المواقع قابل لكي يكون مفصلا داخل الخطاب وينظم في شكل أطروحات، ويبرهن عليه في شكل إثباتات أو استدلالات ويشاركه العديد من المشتركين في المجموعات والصفحات الشخصية... إلخ. بهذا المعنى، يمكن فهم التجريد في خطاب الكراهية بشكل عام: إنه لا يفكر في حياة الإنسان، بل في المعنى الأنطولوجي (الوجودي) لهذه الحياة. ودائرة المعني والمرسل له أو المستهدف داخل مواقع التواصل هي التي يتموقع فيها خطاب الكراهية.

[1]– التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1981، ص23.

3- عناصر تشخيص اللغة في خطاب الكراهية على مواقع التواصل الاجتماعي:

غالبا ما يفهم التشخيص للغة خطاب الكراهية كعملية تنتقل بالتفكير من مستوى الكلي والمجرد إلى مستوى الجزئي والعياني (مرئي) داخل مواقع التواصل الاجتماعي وهذا هو الهدف منه. غير أننا حينما نطرح مسألة التشخيص داخل خطاب الكراهية، لا نفعل ذلك إلا داخل ما أسميناه (مفارقات خطاب الكراهية)، أي داخل وضعية قلقة، لكنها ضرورية. فلا يمكن قيام لغة خطاب الكراهية دون عمليات التجريد وعمليات التشخيص. وإذا كان هناك تقابل ما بين هذين الصنفين من العمليات، فهو – من ناحية أخرى تقابل تأسيسي. ويصبح أحيانا ضروريا قيام عمليات التجريد على أساس عمليات التشخيص (وتلك مفارقة). هنا نكون أمام عمل معقد يصعب تحديده.

ويمتلك التشخيص وظائف كثيرة داخل لغة خطاب الكراهية، خصوصا إذا ما نظرنا إليه في علاقته بالمفاهيم داخل الخطابات الاخرى. فقد يعمل على تخصيص المفهوم عبر تقديم حالات خاصة تظهر أحيانا كأمثلة أو نماذج مفترضة يطلب من متلقي لغة خطاب الكراهية التفكير فيها فقط. فالتشخيص – داخل هذا المعنى – يستوجب من المتلقي أن ينزل بتفكيره من التصور العام إلى مستوى التمثل الخاص أو "رؤية حالة خاصة تساعده على ضبط بعض عناصر المفهوم. ويدفع التشخيص إلى التمثل أو التخيل أو الرؤية. من هنا كان يستلزم لغة خاصة مصطلحات خاصة، تصوير معين) وإشارات معينة عناصر مكانية، زمانية، علاقات مباشرة"[1] .. لهذا يلجأ المؤثرون داخل مواقع التواصل الاجتماعي للجوء إلى مثل هذه الآليات بالنزول بلغة الخطاب إلى مستوى الوضعية (La Situation) – لنتذكر هنا أن كلمة «وضع» (Site) تعني المكان المشروط أو (مكان الهدف)... ووظيفة التشخيص عموما هي تدعيم (يستعمل لغة وتقنية خاصة في التعبير و التصوير والإشارة والإحالة الخاصة بخطاب الكراهية. لا يمكن الحديث عن خطاب الكراهية بإثارة وظيفة التجريد البنائية (بناء المعنى) دون الحديث عن وظيفته الإحالة : فكل خطاب يحيل على مواقع التواصل الاجتماعي ما (واقع أو ممكن) يحقق بواسطته وتثبته الانطلوجية (الوجود). فمواقع التواصل الاجتماعي تحيل لغة خطاب الكراهية إلى عالم الصورة والفكرة والتفكير فيه كعالم موصوف، يحيله إلى الاشارة والواقعية مثال ذلك مصطلح الإرهاب الذي تم الترويج له عبر مواقع التواصل ووسائل الإعلام كعملية توجيه لخطاب الكراهية للإسلام فقد جاء في تعريفه حسب الأمم المتحدة أنه ممارسة للتقتيل والعنف وتشريد الاطفال والنساء، ولكن تعريفه الحقيقي يتنافى مع المفهوم أو الصورة التي قدمتها الأمم المتحدة في تعريف الإرهاب فمعناه الحقيقي (ترهبون) هو اعداد القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لقوله تعالى: "أَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[2] (60) سورة الأنفال، وما يحدث كذلك اتجاه الكثير من الظواهر الاجتماعية، بل أنطولوجية عامة وحول أنماط الكينونة فيه بشكل عام. لا نريد هنا أن نعلن انفصال لغة خطاب الكراهية عن واقعها (التاريخي، السياسي، الاجتماعي ...) فلكل لغة خطاب لها شروطها الموضوعية. لكن ما نريد نفيه هنا هو الإقرار بوجود

[1]– أندريه جاكوب، أنتربولوجية اللغة، دار الثقافة، ترجمة طه محمد، مصر، 1984، ص 25.

[2]– القرآن الكريم، سورة الأنفال، الاية 60.

علاقة وصفية مباشرة بين خطاب الكراهية وبين الأشياء والأسباب ذكرناها في المقدمة من هذه الدراسة. وحتى حينما يفكر رواد التواصل الاجتماعي في عنصر واقعي أو تاريخي معين " فإنه لا يفعل ذلك من منطلق الوصف أو التفسير، بل من منطلق التأمل الذي يرقى به من مستوى واقعي إلى مستوى الافتراضي ثم يعيده الى الواقع مرة أخرى"[1].

فقد كان الأمر الواقعي عنصرا خارج فكر الكراهية على الدوام. كان دائما في وضعية الممكن الذي يتم تعليقه. لنأخذ كمثال على ذلك (الجنس) مثلا على مواقع التواصل الاجتماعي. لقد كان موضوع تفكير العديد من رواد مواقع التواصل الاجتماعي على الخصوص. فالجنس في تفكير هؤلاء ليس هو ما يدخل في تصور الإنسان بالرغم من كونه إنسانا بغض النظر عن جنسه، بل يمثل تجربة فريدة داخل خطاب الكراهية. و ما كان يهم هؤلاء رواد التواصل الاجتماعي هو الجنس الذي يرتبط بحافز معين كالتقدم أو الجمال أو الذكاء أو القوة أو غيرها من الصفات. و هذا ما لا ينطبق على كل إنسان، فالجنس ليس مجرد مثال داخل لغة خطابات هؤلاء، بل هو «المثال» بامتياز. لكن، كيف نفهم المثال بوصفه عنصرا من عناصر التشخيص – كما حددناه – داخل خطاب الكراهية؟

ليس المثال هو الواقع، بل هو جزء من سلسلة برهانية داخل لغة خطاب الكراهية. فاستعمال المثال يدخل ضمن عمليات العرض التي يستعملها رواد مواقع التواصل الاجتماعي.

و لا تحضر داخل لغة خطاب الكراهية بوصفها جزئيا، بل كموضوع قصدي للتفكير أي كـ«خصوصية»، تفرض اختيار المثال على رواد مواقع التواصل استعمال لغة خاصة، لكن هذا التغيير الوظيفي ينبغي إدراكه في علاقته بسياق البرهنة عليه. وفي حالة هذا المثال، ليست لغة الخطاب هي الذي ينزل إلى مستوى العياني بل المثال – بوصفه معطى جزئيا – هو الذي ينبغي رفعه إلى مستوى الكلي وإدراك ما يعطيه من جذب داخل لغة خطاب الكراهية. وعموما يمكن تحديد وظائفه في:

أ – وظيفة اللغة التعليمية: تكمن في تسهيل رواد التواصل الاجتماعي توصيل لغة خطاب الكراهية لفهم المتلقي.

ب– وظيفة اللغة الوجودية: وتكمن في سعي رواد التواصل الاجتماعي في دفع لغة خطاب الكراهية إلى أن يعطي لذاته تثبيتا وجوديا داخل هذه المواقع.

ج – وظيفة اللغة التفسيرية: يحاول رواد التواصل الاجتماعي من خلالها دفع لغة خطاب الكراهية أن يعطي لبنائه المفاهيمي الدعم التشخيصي.

د – وظيفة اللغة الواقعية: وتكمن في محاولة رواد التواصل الاجتماعي اعطاء لغة خطاب الكراهية أطروحاتها طابع الصلاحية والحقيقة.

وبالإجمال، فهي لا تكتسب بعدها الثأتيري إلا باندراجها داخل الكتابة، وبالخصوص داخل أسلوب المحاورة في مواقع التواصل.

[1]– محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ص 68.

4- دلالة الانزياح داخل خطاب الكراهية على مواقع التواصل الاجتماعي:

ليس المثال الذي ذكرناه مجرد لحظة مشخصة ينبغي فهمها في انعزالها. إذ تهدف إلى تطهير المتلقي من الوعي المغلوط الذي لديه عن الواقع والحقيقة والذات ... إلخ. ومع استعمال الانزياح أصبحت هذه الأخيرة استراتيجية في الكتابة الافتراضية، فالانزياح أسس لمفهوم الخيال وبيداغوجيا التساؤل داخل ما يروجه رواد التواصل الاجتماعي.

فالانزياح معناه العام، مجرد لجوء إلى شيء خارجي وفي خطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي فقد كان الانزياح عملية أساسية في تكوين هذا الخطاب واشتغاله في بناء معناه. ولا يمكن التفكير في الانزياح داخل خطاب الكراهية بوصفه محسنا بلاغياً، بل بوصفها مكوناً داخلياً من مكوناتها .. وربما كان أحد ركائزه الأساسية.

فالانزياح عملية نقل تمارس على الكليات داخل مواقع التواصل الاجتماعي نقل كلمة تدل كلية على المعقول إلى المجال محسوس الخالص ثم الى المعقول الخالص. هناك كلمات عديدة تستعمل في مجال المعرفة ذات أصل حسي خالص، لكن مع الاستعمال يتم نسيان أصلها الحسي ويقبل الاستعمال العقلي (الانزياحي) وكأنه الاستعمال الحقيقي الأولي للكلمة. من هنا ننطلق من الأطروحة القائلة : كل لغة محكوم عليها بالانزياح. وما يهمنا هو ارتباط تمثل العمل الانزياحي بالتبادل. يمكن التفكير فيها داخل الخطاب عموما. وخطاب الكراهية على الخصوص – إلا انطلاقا من التبادل الانزياحي : استبدال كلمة بأخرى، معنى بأخر وصورة بأخرى مثل ما يتم داخل التبادل الاقتصادي، و ربما كان وصف الانزياح بالتبادل وصفا انزياحياً في ذاته قائما على تشبيه التبادل الانزياحي بالتبادل الاقتصادي ..لا يمكن التفكير في الانزياح داخل خطاب الكراهية إلا بشكل انزياحي.

غير أن هذا التفكير أخذ داخل خطاب الكراهية شكلاً خاصاً. فقد يعتبر رواد التواصل الاجتماعي الانزياح أداة للهروب من الحقيقة الى الخيال ثم العودة إليهن بينما يريد الأخريين استعمالها للترويح عن النفس فهي ليست مجرد محسن لغوي.

"وقد وضع أرسطو المشابهة كأساس للعملية الانزياحية، واعتبر أن إدراك علاقات المشابهة بين الأشياء خطوة أساسية في اتجاه التجريد. وكل كان إدراك علاقات المشابهة والمماثلة دقيقا كان صنع الإنزياحات جيدا، لأن مثل هذا الإدراك هو ما يؤسسها داخل نوع أو جنس معين: إنه إدراك للتصور ذاته"[1].

فمفارقة الانزياح هاته انعكست جليا في استعمالها في مواقع التواصل الاجتماعي خاصة وضعية الاستعارة وطريقة استعمالها في خطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي ضمن أنساق فلسفية/ وضعيات قلقة /خاضعة للنقد. وليس الانزياح داخل خطاب الكراهية عملية غير مرغوب فيها. فتفسير الاستعمال الانزياحي بالتمييز بين أنواع القياس وأنواع الخطاب ودرجات اليقين، وموقع ذلك الاستعمال داخل خطاب الكراهية يعتبر تأويلا وعبورا من المجازي إلى البرهاني الواقعي. فيتحول نقد الاستعمال الانزياحي داخل خطاب الكراهية إلى نقد للإيديولوجيا ذاتها. يكفي هنا أن نشير إلى أن عمق الحقيقة هو عمق انزياحي: فالحقيقة كثيرة متحركة من الإنزياحات والاستعارات والكنايات والتشبيهات المستمدة من الوجود الإنساني ومحولة بشكل مثالي .." إنها

[1]- عبد الله ابراهيم، المتخيل السردي، بيروت، المركز الثقافي العربي،1990، ص 178.

مجموعة من العلاقات الإنسانية تم رفعها بشكل نثري وخطابي وكثرة تدوينها واستعمالها وتحسينها وتحويلها إلى درجة أصبحت تظهر للمشاهد ما – بعد استعمال كثير وطويل – ثابتة وملزمة ولا شك فيها"[1].

و يمكن أن تنقلب هذه الحقائق إلى أوهام للشعوب إن تم استعملها بكثرة إلى حد الابتذال إلى درجة تفقد معها قوتها الحسية والتأتيرية.. إنها بمثابة قطع نقدية فقدت ختمها وأصبحت موضع اهتمام بوصفها معدنا فقط، لا بوصفها قطعا نقدية، لكن بشكل أكثر تطرفا : فقد أثبتت أن الانزياح تعمل داخل خطاب الكراهية وخصوصا الجانب الميتافيزيقي من المواضيع التي يطرحها رواد التواصل الاجتماعي كالسحر، الجنس، العرق، الدين، وغيرها من المواضيع، وأن نقد الميتافيزيقا ومثل هذه المواضيع يجب أن ينطلق من نقد العمل الانزياحي لخطاب الكراهية الذي يكمن في نقل معاني الكلمات من الحسي إلى العقلي ثم الحسي. إن العمل الانزياحي يقوم على الفصل بين الحسي والعقلي، وهذا الربط بين عمل اللغة الميتافيزيقية وعمل اللغة الانزياحية هو الذي سيصبح موضوع استراتيجية النقد والتوكيل في مواقع التواصل الاجتماعي خاصة مثل هذه الخطابات.

من هنا نقترح استراتيجية التوكيل التي تنطلق من ثنائيات خطاب الكراهية الأساسي – الذي سادته عبر تاريخه – (طبيعة تقنية، طبيعة / عقل، حسي / عقلي، مكان/ زمان، دال / مدلول...) وتفكيكها لكي تكشف عن وعي الخطاب وعن تمفصلاته الداخلية التي لم يعلن عنها.

وبالإجمال، تظل دلالة الانزياح داخل خطاب الكراهية غير مستقرة وقلقة، إلى درجة يمكن القول فيها إن استعمالها داخل مواقع التواصل الاجتماعي يتم بشكل واع وغير واع، هي ميزة ثقافية عامة. وأرى أن بعض رواد التواصل لا يعتبرون أن اللغة – بطبيعتها وبأصلها - انزياحية، وأنهم يفضلون النشاط اللساني الذي يقوم على آلية انزياحية من كل قاعدة أو كل عرف ومن دون علم. فدلالة الانزياح هنا هي ليست خطرا وخرق للقوانين فهي قادرة على الخرق بلغة التشويه والكذب والتمويه والإخفاء بالنسبة لهم.. وكلها عمليات تميز الانزياح عن باقي الصور البيانية، وما نعرفه جيدا أن من "يصنع الانزياحات داخل الخطاب عموما يكذب بالمعنى الحرفي للكلمة : فهو لا يتحدث عن الشيء مباشرة وبوضوح، بل يستعمل كلمة أو جملة ذات إحالات أخرى، للتعبير عن شيء آخر غير الشيء الذي يقصده فعلا، وذلك بتقديمه خبرة ضبابية وغامضة"[2]. "إن «صانع» الانزياح ينتهك: ضرورات الالتزام بالحديث الحقيقي والوضوح والدقة وتناسب الأخبار مع وضعية الحوار، وأخيرا، ضرورة تجنب كل حديث فارغ من كل دلالة "[3].

و هكذا، فدلالة الانزياح تجرنا إلى انزياحات أخرى. فهناك مركب من الانزياحات أو آلة انزياحية تشتغل بشكل عميق داخل خطاب الكراهية لهذا نتساءل لماذا تصبح مثل هذه الخطابات كمبادئ وتعاليم عند بعض رواد التواصل الاجتماعي. ويظهر أن خطاب الكراهية لا يستطيع التخلص من الانزياح لأنه يستمد دعائمه وجذوره من التاريخ وآفاقه من المستقبل، فرواد التواصل الاجتماعي عندما تكتب فئة منهم عن الدين مثلا فهناك من يبدأ في البحث التاريخي عنه، وهناك من يتطلع لمستقبله لكن لا أحد يفصح عن الحقيقة، وفي غالب الأحيان يلجئون الى استعمال الانزياح في خطابتهم، لكن كيف يسكن الانزياح كينونة اللغة في

[1]– كمال أبو ذيب، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، بيروت دار العلم للملايين، 1979، ص7 .

[2]– محمد فتاح، تحيل الخطاب الإستعاري، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987، ص8.

[3] – صالح بن مهدي، النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي– الاستعارة نموذجا دار الكتاب، 2008، ص55.

خطاب الكراهية ؟ لن يكون ذلك إلا بالشكل نفسه الذي يسكن فيه معنى كلمة أخرى.. لن يكون إلا بشكل انزياحي .. فيستطيع خطاب الكراهية استعمال مكر الانزياح حتى حينما يريد تدجينها وضبط تكونها وعملها.. حتى المفاهيم الكراهة تخفي وراءها صور ومجازات ومثال ذلك ما ظهر خلال ثورات الربيع العربي عندما كان الفايسبوك أحد أهم منصات التواصل الذي كان يروج لمعايير المجتمع وأخلاقه أصبح يبيح انتقاد الأنظمة الحاكمة مما يدل على أن اللغة ميتافيزيقية ممتزجة بالمكر وعلى فعاليتها واستعمالها المبتذل ". فهذه مفارقة أخرى من مفارقات خطاب الكراهية المعاصر. وبالفعل، ولا نستطيع أن ننتقد ابتذال الانزياح داخل خطاب الكراهية إلا انطلاقا من مجالات انبثاق الصور الانزياحية وانتعاشها، نتحدث هنا عن الانزياحات اللفظية في انعزالها إذ لا يمكن – بحسب «أمبيرتو إيكو» – "فصل الانزياح عن تجارب رؤيوية، سمعية، لمسية، وشمية"[1] .

فدلالة الانزياح هي قدر خطاب الكراهية الذي لن يستطيع عنه الفكاك. ويبدو أن الاعتراف بالخاصية التجريدية المفاهيمية لخطاب الكراهية لا تستبعد أيضا الاعتراف بالطابع الانزياحي لهذا الخطاب ... "وربما كان صحيحا القول كل خطاب يخفي وراءه تاريخا مثقلا بالعمل الانزياحي" [2]ينبغي الكشف عنه وهذا يدفعنا إلى الاعتراف إلى أن الانزياح هو جزء من خطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي وأن استعماله يكون بكثرة من خلال المناشير أو الصور او الفيديوهات، و يمكن للانزياح أن يتحول في خطاب الكراهية الى مكان للوهم إذ تدفع إلى كثرة التأويلات والتفسيرات الى الابتذال والخروج عن الواقع. وهو ما يدفع الى المبالغة. أو يسمح «باشتغال الايدولوجيا» و«صنع الأوهام»، لأن هذا التصور ذاته يحتاج إلى نقد يعيد النظر في مفهومه عن الايديولوجيا والوهم في علاقتها بالحقيقة والكذب.

لقد طغى الاهتمام في مجتمعنا العربي على الخصوص بمواضيع علاقة خطاب الكراهية بمواقع التواصل الاجتماعي وكثرت الكتابة في هذا المجال . لكن ما تم نسيانه حقا هو علاقة مواقع التواصل الاجتماعي بالخطابات التي ينتعش فيها الانزياحي، و الاستعاري، والرمزي، والتخيلي، خطابات تجد فيها انواع من الخطابات ضالتها كخطاب الكراهية، وما يخصبها بعناصر التفكير والنمو، وما يجعلها بفضل الانزياح تتمدد وتتعمق أكثر، فالانزياح ينفتح على عناصر الخصوبة في خطاب الكراهية. من هنا وجب التخلص من كل تصور يضع فاصلا صوريا بين الكراهية بوصفها خطابا مفاهيميا مجردا، وبين الخطاب عموما بوصفه مجال سيادة التشخيص والصور والاستعارات والانزياحات.

[1] – فريديرك كوسطا، عناصر قراءة النصوص، ترجمة أبو بكر صلاح الدين، دار الثقافة مصر، 1978، ص 25.

[2]– محمد سلميان، الخطاب الإيديولوجي، دار النشر والتوزيع ، 1987، تونس، 2002.ص56.

5- خاتمة:

ليست مفارقة المفهوم / الانزياح، أو التجريد/ التشخيص داخل خطاب الكراهية إلا مظهرا واحدا من مفارقات هذا الخطاب. فالانزياح يحاول أن يكون خطابها كليا، أيضا أن ينصب هذا الخطاب على واقع ما. من هنا انتعش داخل خطابها لمجرد وجودها، كالمجرد والمشخص، العقلي والمرئي ، وهذا يعني أن خطابها يأتي متأخرا بعد أن تظهر خطابات أخرى علمية وسياسية وأخلاقية وفنية قبله... تفكر في قطاعات مختلفة من حياة الإنسان . لكن الانزياح يحاول أن يحيط بكل موضوعات تلك الخطابات وأن تصدر حولها خطابا شموليا.. حاول البعض تجاوزها وتجاوز تأخرها الزمني بإثبات أوليتها المنطقية والمعرفية على مستوى الخطاب، أولية طالما انتقدت – ولا زالت تنتقد – داخل الفكر الحديث.

ويظهر أن محنة خطاب الكراهية داخل مواقع التواصل الاجتماعي تكمن في كونه يحاول فيه الناشر أن يخلق لذاته لغة خاصة، في حين أنه لم ينجز إلا استعمالا خاصا للغة يمكن وصفه بالانزياحي. وحاول أن يميز خطاب الكراهية عن أي خطاب علمي تتجاوز قصديته الوجود والمعرفة (خلق لغة صورية تعبر عن قوانين هذه القطاعات) بمحاولته التفكير في كليته والبحث مما يعطيه معنى شموليا. لكن مسألة المعنى ليست فقط

أخرى في الثقافة الإنسانية (الفن، الشعر...)، فالحياة قطاعات يتم فيها إنتاج معنى الواقع عميق وممتد. لكن، كيف يمكن التفكير دون السقوط في «لعبة الانزياح، والاستعارة، والمجاز؟ الى الوصول إلى معنى خالص في مفهوم خطاب الكراهية؟.

مفارقة خطاب الكراهية تكمن في احتوائه عناصر قلقة ومتوترة ويظهر هذا الخطاب مجزأ بين موقفين من استعمال اللغة: الأول يتجه نحو الأشياء ويستعمل الكلمات كعلامات. والثاني يتجه نحو الآخر – ويختار الجدل – ويستعمل الانزياحات كتعبيرات للتفكير، الأول يميل إلى الهندسة والإحصاء بوصف النصوص عمليات حسابية، والثاني يميل إلى الفن بوصف النصوص نصوص نثرية. والأول يطمح إلى يجعلنا مالكي الطبيعة وأسيادها، والثاني يأمل من رواد التواصل القلق على هذه الحياة.

المصادر والمراجع:

[1]– التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1981.

[2]– أندريه جاكوب، أنتربولوجية اللغة، دار الثقافة، ترجمة طه محمد، مصر، 1985.

[3]– القرآن الكريم، سورة الانفال، الاية 60.

[4]– محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب.

[5] – عبد الله ابراهيم، المتخيل السردي، بيروت ، المركز الثقافي العربي،1990.

[6]– كمال أبو ذيب، جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، بيروت دار العلم للملايين، 1979.

[7]– محمد فتاح، تحيل الخطاب الإستعاري، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987.

[8]– صالح بن مهدي، النظرية الإدراكية وأثرها في الدرس البلاغي– الإستعارة نموذجا، دار الكتاب، 2008.

[9]– فريديرك كوسطا، عناصر قرأة النصوص، ترجمة أبو بكر صلاح الدين، دار الثقافة مصر، 1978.

10- محمد سلميان، الخطاب الإيديولوجي، دار النشر والتوزيع، 1987، تونس، 2002.